الاســتعمار الأوربي
حملة صليبية جديدة

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾

سورة البقرة آية (٢١٧)

كان الجندي الإيطالي يرتدي لباس الحرب، قادماً لاستعمار بلاد الإسلام، وهو ينشد بأعلى صوته :

(يا أمــاه ...
أتمي صلاتك .... ولا تبكي
بل اضحكي، وتأملي ... ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني
وأنا ذاهب إلى طرابلس
فرحاً مسروراً ...
لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ...
ولأحارب الديانة الإسلامية ...
سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ...)[١٥٨].

(والمتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام، يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام

---

(١٥٨) (قادة الغرب يقولون) نقلا عن « القومية والغزو الفكري » ص (٢٠٨) وهذه الأنشودة المشهورة تسمى (أغنية الفاشيست) كانت جيوش الطليان الجرارة تترنم بها وهي تسير مدججة بالسلاح في طرقات طرابلس وبرقة بصوت واحد (انظر : الاتجاهات الوطنية ٢ / ١٥٧).

إلى أبعد نقطة في النفسية الأوربية .

هذا الحقد، وذلك الخوف، لا شأن لنا بهما إذا كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسياً، واقتصادياً، وحتى هذه الساعة، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم .

سوف تشهد لنا أقوال قادتهم أن للغرب، والحضارة الغربية بكل فروعها القومية، وألوانها السياسية موقفاً تجاه الإسلام لا يتغير، إنها تحاول تدمير الإسلام، وإنهاء وجود شعوبه دون رحمة .

حاولوا تدمير الإسلام في الحروب الصليبية(١٥٩)، ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الإسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا .. ثم ليعودوا إلينا بجيوش جديدة، وفكر جديد، وهدفهم تدمير الإسلام من جديد)(١٦٠) .

ومهما حاولت هذه الحملات الاستتار تحت راية « نشر الحضارة والتقدم » في البلاد المستعمرة، فإن الحقيقة التي لا تخفى على كل ذى لب أن الغرب بنى، ولايزال ينى علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية بيننا وبينه لا تزال مستمرة، وهاكم البراهين على ذلك :

• فسياسة أمريكا معنا تخطط على هذا الأساس :

قال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس (جونسون) لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ : (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست

---

(١٥٩) (ويوم دخلوا بيت المقدس ذبحوا فيه سبعين ألفاً من المسلمين حتى غاصت الخيل إلى صدورها في دماء المسلمين)اهـ من (حاضر العالم الإسلامي) لستودارد ص (٢٠٨) .

(١٦٠) (قادة الغرب يقولون) للأستاذ جلال العالم ص (٦ ــ ٧) طبعة المختار الإسلامي .

خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصِّهْيَوْنِيَّة، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها)(١٦١) اهـ .

وبالأمس (وقف مندوب أمريكا في هيئة الأمم قائلاً: إن الصراع الحقيقي في الشرق ليس بين العرب واليهود، إنما الصراع الحقيقي هو ما بين حضارة الإسلام، وحضارة الغرب، فإذا استطعنا أن نزيح حضارة الإسلام عن ميدان الصراع هان علينا تصفية القضية، وسهل علينا الجمع ما بين العرب واليهود)(١٦٢).

والحرب الصليبية الثامنة قادها « أللنبى » :

قال « باترسون سمث » في كتابه « حياة المسيح الشعبية »: (باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة « أللنبى » على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة)(١٦٣).

---

(١٦١) المصدر السابق ص (٢٥ ــ ٢٦) نقلاً عن (معركة المصير) ص (٨٧ ــ ٩٤).

(١٦٢) « محاضرات الجامعة الإسلامية » موسم عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) هامش (١٢٤).

(١٦٣) عن مجلة الطليعة القاهرية ــ مقال وليم سليمان عدد ديسمبر ١٩٦٦ ــ ص (٨٤).

ولذلك نشرت الصحف البريطانية صور « أللنبى »، تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس : (اليوم انتهت الحروب الصليبية)، ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف « أللنبى » وحده بل هو موقف السياسة الإنكليزية كلها، قالت الصحف :

(هنأ « لويد جورج » وزير الخارجية البريطانية الجنرال « أللنبى » في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها « لويد جورج » : الحرب الصليبية الثامنة).

وقال « ألان مورهيد » مؤلف كتابي : « النيل الأبيض » و « النيل الأزرق » : (إن احتلال الإنكليز لمصر سنة ١٨٨١ كان لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة، وتيار محمدي متعصب)[١٦٤].

والفرنسيون أيضاً صليبيون :

فالجنرال (غورو) عندما تغلب على جيش (ميسلون) خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر (صلاح الدين الأيوبي) عند الجامع الأموي، وركله بقدمه قائلاً : « ها قد عندنا يا صلاح الدين »[١٦٥]، وقد صرح القائد الفرنسي (بيير كيلر) بهذه الدوافع الصليبية حيث قال في كتابه (القضية العربية في نظر الغرب)[١٦٦] : (إن مصالح فرنسا في الشرق الأوسط هي قبل كل شيء مصالح روحية، وتعود هذه العلاقات إلى عهد الصليبيين، حيث وقعت معاهدات لحفظ الأماكن المقدسة، وجددت هذه المعاهدات على مر القرون، وتحملت فيها فرنسا مهمة حماية نصارى الشرق) اهـ .

ويؤكد صيلبية الفرنسيين ما قاله (بيدو) وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض

---

(١٦٤) « محاضرات الجامعة الإسلامية » عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) ص (٣١)

(١٦٥) « قادة الغرب يقولون » نقلاً عن (القومية والغزو الفكري) ص (٨٤).

(١٦٦) ص (١١٩) عن (الاتجاهات الوطنية) (٢ / ٢٠).

البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في « مراكش » فأجابهم : « إنها معركة بين الهلال والصليب »[١٦٧] .

وفي ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر قال الحاكم الفرنسي في الجزائر : (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من جودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[١٦٨] .

• وهذا هو الكاتب الفرنسي « فرنسيس جانسون » يعترف بـ (أن الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل طابع الحروب الصليبية : « التبشير والاستعمار »)[١٦٩] .

• وبعد سقوط القدس عام (١٩٦٧) .

قال (راندولف تشرشل) : « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود »[١٧٠] .

وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام (١٩٦٧م) تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع « موشى ديان » :

« هذا يوم بيوم خيبر . . يا لثارات خيبر ».

• وخرج أعوان إسرائيل بمظاهرات قبل حرب (١٩٦٧) تحمل لافتات في باريس،

---

(١٦٧) « قادة الغرب يقولون » ص (٢٨) نقلاً عن (القومية والغزو الفكري) ص (٨٤).

(١٦٨) السابق ص (٣٣) نقلاً عن (المنار) عدد (١٩٦٢/١١/٩م).

(١٦٩) « محاضرات الجامعة الإسلامية » (١٣٩٥ ـ ١٣٩٦هـ) ص (١٣١).

(١٧٠) « قادة الغرب يقولون » عن (حرب الأيام الستة) لراندولف تشرشل ص (١٣٩) من الترجمة العربية.

سار تحت هذه اللافتات اليهودي الوجودي (جان بول سارتر)، وقد كتب عليها، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما : « قاتلوا المسلمين » .

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط، كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتبت عليها : « هزيمة الهلال »، بيعت بالملايين .. لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوربية في المنطقة وهي : محاربة الإسلام وتدمير المسلمين(١٧١) .

وهذا « لورنس براون » يقول : (إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)(١٧٢) .

وهذا « جلادستون » رئيس وزراء إنكلترا(١٧٣) وقد وقف في أواخر القرن الماضي في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه القرآن المجيد، وصاح في أعضاء البرلمان قائلاً : (إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر : أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق، وقال : (وهذه الكعبة)(١٧٤)، وقال أيضاً : (مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)(١٧٥) .

---

(١٧١) السابق ص (٣٠ — ٣١) عن (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ص ٢٠ — ٢١) .

(١٧٢) (التبشير والاستعمار) ص (١٨٤) طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٧م .

(١٧٣) كان (مصطفى كامل) قد راسل غلادستون هذا من باريس يسأله رأيه في مسألة مصر والاحتلال، فأجابه (غلادستون) جواباً جاء في جملته : (إننا يجب أن نترك مصر بعد أن نتم فيها بكل شرف — وفي فائدة مصر نفسها — العمل الذي من أجله دخلناها) انتهى من (بناة النهضة العربية) ص (٥٨) .

(١٧٤) (الحركات النسائية في الشرق) ص (٧) .

(١٧٥) (الإسلام على مفترق الطرق) ص (٣٩) .

وهو القائل أيضاً : (لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ، ويغطي به القرآن)[١٧٦] .

وهذا « كرومر » يقول : (جئت لأمحو ثلاثاً : القرآن ، والكعبة ، والأزهر)[١٧٧] .

وهذا القسيس (زويمر) يبشر المؤتمرين في « مؤتمر القاهرة التبشيري » (١٩٠٦م) الذي ناقش خطة تنصير العالم الإسلامي ، ويوصيهم بجملة وصايا كان آخرها : (أن لا يقنطوا إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين ، وإلى تحرير نسائهم)[١٧٨] .

وهذا (جان بول رو) يقول في كتابه (الإسلام في الغرب)[١٧٩] : (إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي ، لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة) اهـ .

وفي تصريح لـ « بن غوريون » في الكنيست قال : (اصبروا فلن يكون هناك سلام لإسرائيل مادام العرب تحت قيادة الرجعيين ، إن الشرط الأساسي للسلام ، هو أن يقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من « التقاليد » الإسلامية)[١٨٠] .

وبالأمس القريب نشرت مجلة (الأمة) أن رئيس أمريكا (ريجان) وجه إليه أحد الصحافيين سؤالاً نصه : (متى تنتهي مهزلة ما يحدث في بيروت والدماء تنزف ؟)

---

(١٧٦) (المرأة ومكانتها للحصين) ص (١٢) .

(١٧٧) « الخنجر المسموم » لأنور الجندي ص (٢٩) .

(١٧٨) « أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي » للدكتور علي جريشة ، ومحمد شريف الزيبق ص (٣٤) .

(١٧٩) انظر ص (١٧٨ ــ ١٨٩) والكتاب ترجمة : نجدة هاجر وزميله ، طبع في مصر ١٩٦٠م .

(١٨٠) « محاضرات الجامعة الإسلامية » ص (١٣١) عام (١٣٩٥ ــ ١٣٩٦هـ) .

فأجاب رئيس أمريكا في غرور واضح : (إننا لا نزال صليبيين ! ولابد من إنهاء المناوشات بين المسلمين واليهود، وحماية أتباع المسيح في لبنان من المسلمين الغرباء)[١٨١] .

[بل هذه قلعة (الشقيف) القائمة على تل في جنوب لبنان، ويسميها الأوربيون قلعة (بوفور) نسبة إلى القائد الذي أقامها أيام الحروب الصليبية منذ قرون، وقد كانت محل قصف دائم من إسرائيل طيلة سنوات، وفي اكتساحها للجنوب، لم تتمكن من إخراج المقاومة منها إلا بعد أن دمرتها تماماً، واستدعى يومها الجنرال « إيتان » قائد الجيش الإسرائيلي « مناحم بيجن » إلى أطلال القلعة ليقدم له القلعة هدية، وجاء « بيجن » ليرفع عليها العلم الإسرائيلي قائلاً : (ها قد عدنا) ناسباً بذلك غزوه إلى الغزوات الأوربية التي أقامت ممالكها في تلك المنطقة قروناً قبل أن يستردها العرب، ومستخدماً عبارة الجنرال (غورو) القائد الفرنسي حين احتل دمشق سنة ١٩٢٠، ووقف أمام قبر « صلاح الدين الأيوبي »، وقال : (ها قد عدنا يا صلاح الدين)][١٨٢] .

ومن هنـا :

لم يكن عفواً أن يبدأ المبشرون الصليبيون بمصر قلعة الإسلام الصامدة، ومركز ثقله، وموطن الأزهر .

ولم يكن عفواً أن يكون قادة الغزو الصليبي الجديد لمصر من القساوسة المعروفين بكيدهم للإسلام والمسلمين أمثال (دنلوب) كاهن السياسة التعليمية الفاسدة التي زرعها في مصر لقطع صلة الأجيال بالإسلام، و (كرومر) الحاكم البريطاني الذي أذل

---

(١٨١) « الأمة » العدد (٣١) السنة الثالثة .

(١٨٢) (يوميات) الأهرام (١٩٨٢/٨/١٢م) ص (١٨) .

المصريين لمدة ربع قرن من الزمان، والذي حرص على صياغة جيل من المثقفين ثقافة أوربية يقبل التعاون مع الاستعمار، ويخلفه في حمل راية التفرنج بعد رحيل جيوشه حتى يضمن قهر الإسلام، ويأمن بعث المسلمين من جديد بعد رحيله، وكلا الرجلين (دنلوب) و (كرومر) قد تخرجا من أكبر المدارس اللاهوتية في أوربا، ولم يكن من المستغرب أيضاً أن ينشط لدعوة الحرية عامة، و (تحرير المرأة) خاصة النصارى، والشاميون المقيمون في مصر[١٨٣]، فهؤلاء كانوا يعملون لنصرة أبناء دينهم أمثال (كرومر وزويمر ودنلوب وغورو وأللنبى)، (وتصورهم الديني غارق في التثليث والعشاء الرباني، وصكوك الغفران .. لكن من المؤسف أن يسير في هذا الخط المدمر أناس من أبناء المسلمين، أضلهم الشيطان على علم، وعميت أبصارهم عن الحقيقة، فكانوا خداماً لأسيادهم وأولياء نعمتهم من الفرنج)[١٨٤].

وكعناصر أى معركة : كانت (القيادة) صليبية، و (القاعدة) أرض وطننا المسلم مصر، و (الأسلحة) متنوعة مادية ونفسية (والجنود) عسكريين ومفكرين ومبشرين و (الضحية) بسطاء المسلمين ومستضعفيهم (والعملاء) الهواة منهم والمحترفون، الحكام والقادة الفكريون يمارسون بأيديهم إبادة مقومات القوة في أمتنا ليسهلوا على العدو الخبيث المتربص التهامها .. وما أفظعها من مهمة يمارسها العملاء حين يدمرون أممهم، ثم يدفعونها في فم الغول الاستعماري البشع ليلتهمها .. لقمة سائغة !

---

(١٨٣) أمثال : مرقص فهمي، وميخائيل عبد السيد، وجرجي زيدان، ولويس عوض، وسلامة موسى، وفرح أنطون، وشبلي الشميل، وقسطنطين رزق، وميشيل عفلق، وجورج حبش، وأنطون سعادة، وشاعر المجون والعربدة نزار قباني وغيرهم انظر : (المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التحرر) للدكتور « عمر الأشقر » ص (١٤)، و (المرأة ومكانتها) للحصين ص (٢٠٨)، و (الاتجاهات الوطنية) (١ / ٢٠٣) وما بعدها.

(١٨٤) (المرأة ومكانتها في الإسلام) للحصين ص (٢١٩) بتصرف.

لقد استطاع أعداء الإسلام في تلك الحقبة أن يغرسوا في نفوس الكثير من المنهزمين أنهم ما أتوا إلا لتعمير بلادنا ونشر الحضارة والثقافة، وجهل هؤلاء المنهزمون أن هؤلاء الأعداء الموتورين قد توارثوا الأحقاد على الإسلام عبر القرون، وأنهم لا يألون جهداً حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا.

كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا   أن يبعثوا الحقد نيراناً وينتقموا
هذى حضارتهم والشر يملؤهـا   ماتت على صرحها الأخلاق والشيمُ

والآن .. وبعد أن انكشفت لنا الحقائق جلية عن نوايا أعدائنا بنا وخططهم لتدميرنا، وعن حقيقة هؤلاء الذين قامت على أكتافهم دعوة (تحرير المرأة)، وسنكشف فيما بعد إن شاء الله عن حقيقة هؤلاء اللاتي طفن بأوربة، وحججن إلى حضارتها، وشددن الرحال إلى مؤتمراتها، و « مؤامراتها »، ثم عدن نائبات عن (أسيادهن) في مهمة (تدمير المرأة المسلمة) وبذلن كل فروض الطاعة والولاء الصريح لأعداء الإسلام، وبخلن في الوقت نفسه بإظهار أى صورة من صور الولاء الحقيقي لله ولرسوله وللمؤمنين، وجهر بعضهن بعد ذلك بالطعن في الدين، والتبرى من شريعة سيد المرسلين ﷺ أفلا يحق لنا بعد هذا كله أن نتساءل :

(ما سر العلاقة الودية الوثيقة التي تربط بين دعاة تحرير المرأة وبين القوى الاستعمارية والمعادية للإسلام وعلمائه ودعاته وأهله في كل مكان من العالم حولنا ؟ إنه بالرغم من افتراض حسن النية أو الجهل عند من كان يظهر الإسلام من دعاة (تحرير المرأة) لكن هذا الافتراض لم يمنع بعض المحللين والباحثين حق الاجتهاد والبحث عن علاقة ما محتملة، سرية أو علنية بين مخططات البهائية والصهيونية والماسونية ومسيرتها السرطانية الدؤوبة التي لا نشعر بها إلا بعد ظهور الأورام، وتفشى الموت في الدم واللحم والعظم ـــ وبين قيادات ودعاة السفور على مساحة ديار المسلمين الواسعة، و « من أوقع نفسه مواقع التهمة، فلا يلومن من أساء الظن به ») .

فلنستصحب هذه المعاني الآن ونحن نجول بين أعلام نسائية بارزة كان لها دور ما في « معركة الحجاب والسفور » ، ولنتأمل جيداً دورهن « كتلميذات للاستعمار » ، ما منهن واحدة إلا ورحلت إلى « هناك » لِتُلَقَّنَ أصولَ الدعوة المدمرة ، ثم عادت إلى « هنا » لتتبوأ مراكز التوجيه .. متجردة من الولاء للإسلام والاعتزاز بأحكامه ، ومخلصة في عبادتها لأوربة ، بل فخورة باستعباد أوربة لها ، رافضة بلسان حالها وسلوكها ولحن قولها أن تجعل الإسلام منظاراً على عينها ترى الأشياء من خلاله ، وتُحَكِّمه فيما هي عليه من عقيدة ومنهاج .